حازم القرطاجني بين النقد والشعر
وقفة عند المقصورة الشعرية

hazem al_qartajani between criticism and the poetry(a pause at his almaksoura poetry)

طالبة الدكتوراه/ وارث إيمان
الأستاذ الدكتور/ حفيظة روابنية

- قسم اللغة العربية وآدابها-جامعة باجي مختار -عنابة(الجزائر)
- **مخبر الشعريات وقضايا النص الأدبي ، جامعة عنابة.**

imenwaret@yahoo.fr

تاريخ الإيداع: 2020/10/29 تاريخ القبول: 2021/01/01 تاريخ القبول: 2021/03/15

- **ملخص:**

الثقافة ركيزة كل إبداع أو قراءة ونقد، حيث تعد الكفاءة الموسوعية من الشروط التي تتأسس عليها بنى النصوص واستراتيجياتها، لهذا وجبت الموسوعية المتعددة المرجعيات حتى يتم الدخول إلى مستغلقات النصوص وفهم مجاهيلها والكشف عن سيرورة تشكلها، هذه الموسوعية الثقافية حاولنا الكشف عنها عند الناقد الشاعر حازم القرطاجني من خلال نظرة في مقصورته الشعرية التي لامسنا فيها نوعا من التعارض مع بعض آرائه النقدية في كتابه منهاج البلغاء وسراج الأدباء، وهو ما تبيّنه هذه الورقة البحثية

- الكلمات المفتاحية:القرطاجني- الناقد- الشاعر- المقصورة- المنهاج.

Abstract:

Culture is the basis of creativity or reading and criticism. The encyclopaedic competence is considered as one of the most important conditions upon which the text structures are based. Therefore, multi-reference encyclopaedia is required to understand the unknowns of texts and reveal the process of its formation. This encyclopaedia has been tried to be exposed through the work of the poet and critic Hazem Al-Qartajni "

ALmaksoura", through which we touched a kind of contradiction between his critical opinions in his book " Minhadj el boulaghaa Wa Siradj el Oudabaa" which will be shown in this research paper.

***Keywords*:** Qartajni - The poet - The critic – Almaksoura.approach

مقدمة:

الشعر باعث للكيان و الوجدان،به يعبّر عن النفس و خوالجها،بالشعر يُعبّر عن الصور المادية والمعنوية،عن الفرحات وعن الآهات،ومنه كان هذا الفن هو المعيار الأول عند العرب في النظر إلى الأشياء وفي تقييمها لذلك اتجه النقاد للبحث عن حقيقته فوضعوا له القوانين والنظريات التي بدأت بسيطة تمتح من الأعراف والمواضعات، ثم تطورت بتطور المناخ الفكري، فظهرت نظرية عمود الشعر (للمرزوقي)، ونظرية النظم (للجرجاني) وغيرهما وغيرها ممن بحثوا في حد الشعر وخصائصه، ومكونات بنائه (الشكل، الوزن، والإيقاع،،،) فوضعوا له مفاهيم مختلفة كلٌّ حسب رؤيته، فنجده عند، (ابن طباطبا) <<كلام منظوم بائن عن المنثور>>[1]أما حد الشعر عند الجرجاني فهو<<كلام مقفى موزون على سبيل القصد والقيد الأخير...الغرض منه انفعال النفس بالترغيب والتنفير>>[2].

لقد اهتم النقاد بالعملية الشعرية منذ أن كانت فكرة خيالية لا تزال في ذهن صاحبها، إلى أن تمّ خلق النص واكتماله في صورته النهائية، فالنقد مرتبط بتقييم النص والبحث عن خصائصه الفنية والجمالية، كما أنّه الفحص والتمييز، هو ثمرة النظر و التأمل في ذاك الأثر الأدبي، والبحث عن مكامن الجمال فيه، وتعليلها وتفسيرها إن وجدت داخل قواعد تنظيمه وتكوينه.

وبعد أن كان هذا فإن العلم يعتمد على السّليقة والطبع، وعلى الذوق العربي الخالص وهذا في عصوره الأولى_ ثمّ تطور الأمر فصار لابدّ من الخبرة والدربة، وصحة النظر لفك غموض بنية القصيدة التي تعتبر كلّا متكاملا، إنها بنية متلاحمة مبنية على هندسة معينة، لذا قام النقد الأدبي على المعرفة والخبرة وتوافر الملكة، والحس اللغوي، والذوق السليم. وعلى ضوء الترابط بين الشعر والنقد كما هو عند حازم، حاولنا الإجابة عن الإشكالية التالية :

_ هل حقق حازم التفوق في النظم كما كان له في النقد؟ هل كان شاعرا بارعا متقنا لأدوات الصناعة؟

_هل كان للدرس النقدي الحازمي بصمة في المقصورة؟

يستهدف هذا البحث التنقيب عن حازم الشاعر في المطولة، ومدى تماهي الذات الناقدة بالذات الشاعرة في مقصورته الشعرية.

1.صناعة الشعر عند حازم القرطاجني:

تطرق (القرطاجني) في منهاجه إلى عدة قضايا لنظم الشعر منها ماهيته التي تتأسس على عنصر التخييل، حيث سعى للولوج إلى العالم الدلالي للنص الشعري، وأبحر في دهاليزه، كاشفا عن بعض المكامن فيه، فذكر طرق التأليف، وكيفية نشأة الشعر، فجاءت أحكامه النقدية شاملة لتشربه من الثقافتين العربية واليونانية مستفيدا خاصة من تلخيصات النصوص الأرسطية التي قام بها دارسو أرسطو، إضافة لمختلف شروحات الفلاسفة العرب أمثال(الفارابي، ابن سينا، وابن رشد...) والتي استطاع من خلالها وضع منهجا متكاملا، واضحا حدد من خلاله موقفه النقدي[3].

ركز الخطاب النقدي عنده على تجاوز التقصير، والنهوض لتقويم ما فسد من الطباع وقصر من الأفكار، فكشف عن قوانين الشعر الجيد الذي يجمع بين الطبع والعلم، وكان ذلك في نظره من سنن الفحول، فالافتقار للعلوم جعل الشعر في الحضيض، حيث حاد الشعراء عن الاحتكاك والتقرب من أصحاب العلم والمعرفة بسبب جهلهم بأهمية ذلك[4]ظنا منهم أن الخاصية الصوتية وحدها كافية لقول الشعر، فالشعرية في نظرهم هي « نظم أي لفظ اتّفق كيف اتّفق نظمه وتضمينه أي غرض اتّفق على أي صفة اتّفق،لا يعتبر في ذلك عنده قانون ولا رسم موضوع،وإنما المعتبر عنده إجراء الكلام على الوزن والنفاذ به إلى قافية.»[5]، إن الشعرية إذن ليست مجرد ضم الألفاظ بعضها إلى بعض وإضافة الإيقاع الموسيقي لها، بل الأمر أبلغ من ذلك، وهو ما أكده بقوله: «إن افتقاد مفهوم متكامل للشعر يعني غياب العلم به، وغياب العلم يؤدي إلى تفاقم حالة الجدب وبالتالي هوان الشعر والشعراء، وافتقاد المجتمع وسيلة مهمة من وسائل تطوير الحياة»[6]ومنه فإن ما يرشد عملية الإبداع هو العلم به، وهو الذي يُقوم خُطاه مما يُنتج نظما أصيلا انطلاقا من خصائص تجعله يرقى إلى الكلام الشعري .

فقدرة القول على التأثير في المتلقي هي الفيصل في ذلك «فالشعر كلام موزون مقفى من شأنه أن يحبب إلى النفس ما قصد تحبيبه إليها، ويكرّه إليها ما قصد تكريهه، لتحمل بذلك على طلبه أو الهرب منه،بما يتضمن من حسن تخييل له»[7]

جعل (حازم) التخييل السمة الأساسية والمميزة للشعر عن أصناف القول، فليس الشعر بوزنه وقافيته، وإنما بقوة العبارة ومدى تأثيرها واستمالة النفس لها، ولعل هذا ما جعل العرب تُعلي من شأن الشاعر لإدراكها«سحر الكلمة وتذوقها الشعر الجيد من هنا كان انفعالها وسرورها بالقول، وانبساطها له مصدره الإحساس بنبض القصيدة، بدءا بلغتها قبل معانيها»[8].فمنبع الشعر هو النفس ومصبه النفس بتقبلها له أو إعراضها عنه.

أحاط (القرطاجي) بكل ما يرتبط بصناعة الشعر بدءًا بجذوره وهو داخل النفس، وكذا طرق الإبانة عن تلك المعاني، وكيفية صناعة شعر جيد،وصولا للمتلقي ومدى تقبله للقول الشعري من عدمه، لأن الإبداع «وليد حركات النفس أي وليد انفعالات تتناوب النفوس بين قبض وبسط (نزاع إلى و نزوع عن)... ومن قيام الشعر بوصف هذه الانفعالات تتولد المعاني الشعرية»[9].

2.القرطاجني بين النقد والشعر:

بين النقد والشعر مسافة تخضع لاعتبارات عديدة، وهذه المقدمة تفتح لنا باب القول عن (حازم القرطاجني) بين الناقد والشاعر، الذي جمع بين العلم والشعر، فكان العالم الناقد من خلال محاولته التأسيس لشعرية عربية أصيلة، فأقام تصوراته النقدية على الجمع بين الأدب و الفلسفة حيث كان «أحد أساطين النقد الأدبي العربي القديم، بما يمثله من وراثته لتراث لا يمكن تجاوزه أو الانقطاع عنه»[10].وبذلك وضع نظرية تستجيب لطبيعة الشعر العربي بعد ما خلص إلى أن القوانين التي سنّها أرسطو بما يتطابق والطبيعة اليونانية، ولا تستجيب في كليتها للشعر العربي، لذلك كان لابدّ من السعي للبحث عن قوانين الإبداع ومعاييره بما يتماشى و خصوصية الشعر العربي.[11]

استطاع (القرطاجني) الإحاطة بحقيقة الإبداع الشعري العربي الذي شغل النقاد والفلاسفة فسنّ قوانينه في كتابه (منهاج البلغاء و سراج الأدباء) الذي مثل « إنجازا نقديا كبيرا شمل القدر الأكبر من كليات الصنعة الشعرية وجزئياتها واستطاع صاحبه أن يُدخل كثيرا من الملاحظ الجمالية والنقدية القديمة ضمن الأنساق والمذاهب البلاغية التي أصّلها»[12].

لقد أراد أن يعيد للشعر مكانته، فكان لابدّ من «أن يرسم طريق الشعر وطريق النقد ليستعيد كل منهما مكانته التي فقدها، وعرشها الذي هوى في خضمّ السياسات والأحداث»[13].ولذلك كان إحساسه بالضياع لفقد الوطن منعكسا على إبداعه النقدي و الشعري؛ حيث سعى جاهدا إلى تدارك وتجاوز التقصير الذي رآه محيطا بكل من النقد والشعر، فوجدناه «يقف أمام الشعر في مفهومه وطبيعته، وصناعته، ودوافعه ومعانيه ومبانيه، وأساليبه وقفة العالم المقتدر، و الناقد الفذ... ليُجلّي طريقة للمرتادين، حتى يستعيد شبابه وقوته في عصر الازدهار الأدبي»[14].كما تجلى في مقصورته.

سعى (حازم القرطاجني) للإصلاح من حال الشعر، والنهوض به ليعود إلى ما كان عليه في عصور ازدهاره، وتعرض بالنقد إلى من أسماهم بأخساء العالم، فجمع خلاصة الحركة النقدية قبله

ووضح أصول الصناعة البلاغية فكان بذلك « نقدا فكريا فلسفيا يستمد زاده من ثقافة إنسانية عميقة لايزال لها صداها إلى اليوم في عالم النقد والأدب »[15].إذ يجمع كتابه أسسا من النقد اليوناني وكيفية تلقيها عند النقاد العرب، وكذا آرائهم في القضايا النقدية المختلفة.

وعليه كان لابد لكل شاعر من معرفة شروط الصناعة وأصولها، فلا إبداع دون معرفة وعلم ، فالنقد مرتبط بالشعر إذ أنه «لا يمكن أن يكون ناقدا ما لم يجمع إلى جانب المعرفة بالقوانين الكلية جانب المعرفة بالأصول العلمية للصنعة. وبمثل هذين الأمرين يلزم أن يكون العالم بالشعر شاعرا، كما أن يكون الشاعر عالما في الوقت نفسه»[16].بأصول صناعة الكلمة / القصيدة، وما اتفق عليه الذوق النقدي في غرض من الأغراض التي يخوض فيها، حتّى يلقى نصّه القبول، أو يُحدث التأثير في المتلقي، وهي القضية الأساسية التي شغلت (حازم).

3.المقصورة بين الإبداع الشعري والنظرية النقدية:

3 .1.مفهوم المقصورة:

أ. المقصورة لغة:يعني التقيد والاحتباس،حيث ورد في معجم (مقاييس اللغة): «قصر القاف و الصاد والراء أصلان صحيحان، أحدهما: يدل على ألا يبلغ الشيء مداه ونهايته والآخر على الحبس، والأصلان متقاربان».[17] أي التقيّد دون الوصول إلى الغاية. فهو الاحتباس وعدم الاستمرار.وجاء في (تاج العروس): « القصر الغاية: وكذلك القصار وهو من معنى القصر بمعنى الحبس، لأنك إذا بلغت الغاية حبَستْك»[18].

ب.اصطلاحا: المقصورة من المطولات المنظومة على بحر الرجز، تشتمل على عدة أغراض متباينة بعد المدح الذي يمثل غرضها الأساسي.[19]

كان هذا النوع من القصائد نادر ا في الشعر العربي، وجد في شكل مقطوعات و أبيات معدودة، لكن مع تطور الأفكار و المعاني تبنى الشعر المقصور أغراضا متنوعة فبلغ المئات من الأبيات، و عرف (ابن دريد) بمقصورته الشهيرة التي بلغت مئتين وخمسين بيتا فكانت الأنموذج الذي عارضه الشعراء مطلعها[20]:

يا ظبية أشبه شيء بالمها ترعى الخزامى بين أشجار النقا

ونظرا للأغراض التي حوتها (المقصورة) وما تميزت به من ثروة لغوية، وأدبية كانت «ظاهرة خصبة من ظواهر أدبنا العربي، لا يجوز إهمالها، فهي معين لا ينضب من المعاني

والمعارف و المفردات و التراكيب»[21]. ومن الخصائص التي تميّز النص المقصور هو اعتماد صوت الألف رويا«والواقع أن الصوت ذو علاقة وطيدة باللغة الشعرية لأنه نابع من إحساس الشاعر ومن وعيه بأهمية الحرف و الكلمة، ومن ثقافة لغوية واسعة تتلاقى مع مدركات ذهنية و جمالية في نفس الشاعر»[22].

اهتم العرب بالقافية، لأنها أهم خصائص الشعر، ولم تقتصر أهميتها على الجانب الصوتي، بل ارتبطت بدلالة القصيدة لذا كان لابدّ من أن يحسن الشاعر الاختيار حتى يصل لغرضه، ويكون قد وظّف عناصر إبداعه لخدمته.

2.3 مقصورة حازم القرطاجني:

عارض حازم بمقصورته مقصورة (ابن دريد)، ولما كانت المعارضة تستوجب التجاوز والتفوق فقد بلغ (القرطاجني) ما يزيد عن الألف بيت،وهو ما لم يسبق إليه الشعراء من قبل«فتقدمت مقصورة حازم سائر المعارضات بل إنها فاقت المقصورة الدريدية الأنموذج طولا»[23].و مطلعها:[24].

لله ما قد هجت يا يوم النــوى على فُؤَادي من تَبَــاريح الهوى

لقد جمعت الظلْم والإظلاَمَ إذْ وَارَيْت شمْس الحُسن في وقت الضُّحى

المفهوم اللغوي للمعارضة:

يقال:«عارض (فلانا بمثل صنيعه) أي (أتى إليه مثل ما أتى) ...أي كأن عرض الشيء بفعله مثلُ عرض الشيء الذي فعله»[25].

فالمعارضة إذن تعني مقابلة الشيء ومماثلته إضافة إلى مباراته، وتجاوزه ليتحقق الفوز والتفوق على المُعَارَضِ.

المعارضة اصطلاحا: هي «أن ينظم شاعر قصيدة في موضوع معين على غرار قصيدة أخرى قالها شاعر متقدم عليه في الزمن، ملتزما الوزن والقافية و حركة الروي، فضلا عن المضمون، بالمتابعة و الاحتذاء مجاريا ذلك الشاعر محاولا بلوغ شأوه ثم محاولا التفوق و الإبداع، وهذا الضرب يمثل المعارضة التامة»[26].فهي لا تكون في الوزن و القافية فحسب بل تتجاوز ذلك إلى المضمون، ومحاولة التفوق على النموذج السابق.

3.3 مميزات مقصورة حازم القرطاجني:

تنوّعت مشارب ثقافة (حازم القرطاجني)، فكانت له معينا لا ينضب، أسهم في تشكيل ثقافته ومكّنه من إثبات اقتدراه وتفوقه باعتماده القافية المقصورة، رغم ما يكتنفها من الصعوبة، من حيث الشّكل، كما تميّز مضمونها بجودة البناء الفني. ما جعلها أكثر شعره شهرة فهي « أطول المقصورات نظما، وأوسعها غرضا، وأحكمها و أبدعها صياغة. تمتاز بخصائص لغوية، وأذواق أدبية، ونواح تاريخية و جغرافية، قصد شاعرنا إلى تمييزها بذلك كلّه، وبذل الجهد في رصفها و ترصيعها فحمل الأدباء و الشراح على العناية بها و الإقبال عليها، والتنبيه على ما ورد فيها من وجوه الإمتاع البياني و الافتنان النظمي»[27] لقد حمل النص فلسفة صاحبه وجل أفكاره، فكان متداخل العلاقات، لا يخرج و لا يتحرر من فلسفة صاحبه وفكره فالنص يعتبر «جزءً صغيرا في بنيان ثقافي أكبر، يدخل فيه بشكل واسع التاريخ و الفلسفة وغيرهما من العلوم»[28]. التي تشكّل البنية الثقافية للمجتمع، وهي نفسها القاعدة الافتراضية التي ينتقل منها المبدع بعامة، شاعرا كان أو ناقدا، ويبدع في إطارها، وينفتح بعد ذلك على كلّ ما يجعل من عمله عملا فنيا، ويحقق شعرية عمله الفنيّ من الداخل أو الخارج.

ولالتقاء العالم بالشاعر في شخص (القرطاجني) ،جاءت مقصورته عملا أدبيا متميزا لأنها من إنجاز شاعر ناقد تفرد عن غيره بجمع وسائل الأداء والإبداع في بناء مطولته [29] التي نظمها في مدح المستنصر بالله الحفصي. فوجدناه يستعرض ثقافته المتنوعة، ويبث براعته النظمية تنويها بقدرته على النظم، حيث ضمنها كل ألوان البديع والبيان فرسم من خلالها صورا كانت من عجائب الإبداع، جعلت من النص سجلا شاملا ، بل يصح القول أنها ديوان من دواوين العرب.أثبت فيها اقتداره وكشف عن سعة معارفه يقول [30]:

نَظَمتُها فريــدةً في حُسْنها منظومةً نَظْمَ الفريد المنْتَقى

تُخْطَبُ بالأنفسِ أعلاقٌ لهَـا نفِيـسَةٌ بكلِّ عِلْقٍ تُفْتَـدى

4.التعارض بين المقصورة والمنهاج:

أضفى (حازم) على مقصورته تشكيلا جماليا برسمه لبعض الصور من خلال لجوئه إلى بعض العلوم، فاتّخذ من علم الفلك عنصرا وأداة لتشكيل صورة فنية رائعة وضحت قدرته الفائقة على توظيف نمط خاص من الخطاب ضمن نصه الشعري، فمزج بين العلم والبلاغة بقوله[31]:

كَأَنَّ ضَوءَ الصُبحِ شُهبُ غَارَةٍ تَقَاذَفَ الحُضرُ بِهِنَّ وارتَمى
أوجَسَتِ العَقرَبِ مِنها نَبأَةً فَأَمَّتِ الغَربَ وَجَدَّت في النَّجَا
وَرَكَنَ الغَفرُ إلى الشُّهبِ الَّتي أَجفلنَ جمَّاءَ غَفِيراً وانضَوى
وأَصبَحَ السِّماكُ يُزجي عَرشَهُ أَمامَهُ مَخافَةً أَن يُحتَوَى
وَمَدَّ لليثِ أَخُوهُ رُمحَهُ وَقَرَّبَ العَوَّاءَ مِنهُ واشتَلى
وَقَد عَدَاهُ الليث عَن نَثرَتِهِ وَحَدَّقَ الطَرفَ إلَيهِ وَدَأى
وَفَرَّتِ الجَوزاءُ مِن أَمامِهِ وَقَدَّمَ الحادِي الثُرَيا ومَى
وَقَد أرادَ الحَملُ الحملَ على جُوتٍ عن الدَلوِ عَداهُ وَثَنى
وَقد رأى اخبيةً مضرُوبَةً للسَعدِ مِن غَيرِ عِمادٍ تُبتَنى
وَظَلَّ يَرعى ماتِحاً من دُونها قد ناطَ بالفَرغِ الرِشاءَ ودَلا
وَقد تَوَقَّى ذابحاً من خَلفها أو ترَ قَوساً للنعامِ وارتمى

يعرض الشاعر هنا قدرته على حسن السبك، من خلال رسمه صورا خيالية متخذا الطبيعة الفلكية وسيلته، فكان من العناصر التي جمع بينها:

(العقرب،الغفر،الجمّاء،السّماك،الليث،النثرة،العواء،الجوزاء،الحمل،الدلو أخبية،السعد،الحوت، ،الفرغ،الرّشاء،الذابح) *.

شبه ضوء الصبح بشهب الغارة، وتخيّل النجوم قد أحست بها فأخذت في الارتحال ليذكر العقرب التي سمعت منها نبأة فسارت نحو الغفر لترتحل في كنفها لصغرها، ثم السماك ساق عرشه خوفا أن تستولي خيل الغارة عليه، ثمّ مدّ رُمحه نحو الأسد حتى خلّص العواء منه،ثم ذكر الأسد الذي عاق السّماك وحال بينه وبين الوصول للنثرة، فقصد مخاتلته وافتراسه،أما الجوزاء فقد فرّت أمام الأسد، والثريا أسرعت خوفا منه.[32]

كل تلك الصور المتخيلة تثبت حسن الرسم بالكلمات، لقد أراد اعتماد التخييل الشعري الذي يمكّن للمعنى فهو القائل[33]:

وانتسبَ المعنى بِلُطف حيلةٍ فيها إلى المعنَى الذي منه انْتفى

إذا قمنا بمقارنة ذلك بما ورد في (المنهاج)، نجد أن (القرطاجني) نبه إلى عدم ذكر الأمور العلمية في النظم، بل جعل إيرادها مكروها، و فيه تمويه بأن صاحبها شاعر عالم .[34].فغاية الشعر هي تحريك النفوس ومنه وجب أن تكون المعاني الأعرق في صناعته ما كان مناسبا للأغراض الإنسانية، لأن بها يتحقق الهدف المنشود من القول الشعري.

وإذا تأملنا قول القرطاجني[35]:

ما اسْتبدَل القلبُ، فلاَ تستَبْدلي منه ولا ترْضَي بما لا يُرْتَضَى

ولا تبيــعي خُـلةً ً بِخلَةٍ فإن بيعَ المثل بالمثلِ رِبـا

نلاحظ في هذا القول قضية من القضايا الفقهية المتجلية في (بيع المثل بالمثل ربا)، وهذه الأغراض المختلفة التي تضمنتها مدونة(المقصورة)قال عنها ناظمها[36]:

تَخذْتُ في النُقلَة في أَغْراضِها مذاهِبًا أ عْيَت على من قد نحا

فالشاعر هنا يصرح بقوة بيانه و طبعه، فله القدرة على الانتقال من غرض لآخر مع الحفاظ على اتساق الكلام والتحامه،يريد (القرطاجني) أن يثبث اختلافه عن سواه، وهو ما يصرح به في قوله «ومن كان مقصده أيضا أن يظهر أنه مقتدر على المناسبة بين المتباعدين وأن يغطي بحسن تأليفه ووضعه على ما بينهما من التباين بعض التغطية،فإنه يكدّ خاطره في مالا تظهر فيه صناعته ظهورها في غيره،ولا يتوصل بعد ذلك إلى الغرض المقصود بالشعر من تحريك النفوس ».[37] فهذا الاختلاف بين ما نظّر له وما نظم عليه يجعلنا نلمس براعته التي يريد الكشف عنها،إنه يؤكد تفرّده، ويكشف لنا عن ذلك العالم ذو الثقافة والمعرفة استعرض موسوعيته في أشعاره لذلك فإنّنا « ننظر إليه في ضوء هذه الظاهرة العامة التي تنظم شعره كله، وهو بوصفه ناقدا مشرعا يُنكر إيراد المسائل العلمية في الشعر ولكنه بوصفه شاعرا يزاحم غيره على باب الخليفة ينبغي أن يحسن في شعره مالا يحسنه غيره، و أن يلوح فيه بما يجيده هو ولا يجيده سواه، أما بَرْدَ هذا الأمر و ثقله فعلاجه عند الصياغة المحكمة والأسلوب المتقن اللذين أصبحا في يده آلة مرنة طيعة».[38]

جمع (حازم القرطاجني) بين العلم والشعر، فبات متحكما في آلة النظم والقول ما خوّل له استدعاء العناصر الأساسية للإبداع، لأن له القدرة على الجمع بين المتباعدات بحسن الصياغة والتأليف بين المتنافرات، ومنه جاء هذا التناقض - إن صحّ التعبير - بين النقد

والتطبيق ربما لغاية قصدها، أو حاجة أكّدها في إبداعه خاصة وأنه أقرّ على أن الشعر منبعه النفس وإليها مرده، وعلى الشاعر الاجتهاد في استحضار مقاصده وهذا ما يحقق الأثر المنتظر.

5.التعليقات الختامية:

بدأت الحركة النقدية مرتبطة بالمواضعات الاجتماعية ومجموع التقاليد التي تعارف عليها الناس وتواضعوا، ثم سارت بخطى حثيثة نتيجة عوامل متعددة أدّت إلى تطوير الشعر العربي ومنه تبلور الفكر النقدي، حتى كان العصر العباسي؛ حيث أصبح المجتمع العربي تحت ظل زخم معرفي وفكريّ هائل، شديد التنوّع، تنوّع الأجناس المختلفة التي امتزجت والعرب، وأسهمت في بناء صرح الفكر النّقدي الإسلامي بمواصفات جديدة، لم تتخل عن القديم ولكنّها دمجته في موجة التجديد تلك بفضل عدد كبير من النقاد الذين أفادوا من الثقافات المتنوعة؛ خاصة الفلسفة اليونانية والحكمة الهندية...وقد خصصنا القول عن حازم القرطاجني في القرن السّابع الذي كان خلاصة الحركة النقدية قبله، حيث نظر في الإرث النقدي السابق، ووقف عنده بكثير من الرويّة والتدبّر، ثم تأمّل حال الشعر والشعراء في عصره، فلاحظ ما آلت إليه حال ديوان العرب، وكيف أفسد أهل زمانه الشعر، فآلمه ذلك. وقرّر النهوض بالشعر العربي، ولم يكن ذلك بالمهمة اليسيرة، فبسط جملة من الرؤى حاولنا الكشف عنها من خلال هذه الوقفة والتي كان مؤداها :

_ أن الثقافة ركيزة كل إبداع، وتعتبر شرطا من شروط الصناعة.

_ كان لابد للناقد أن يكون عالما بالشعر وعلى دراية بأحكام الصناعة وأدواتها وشروطها، وهي السمة التي تجلت في خطاب حازم القرطاجني وميّزته.

_ أظهر القرطاجني قدرته على الجمع بين المتباعدات،فكشفت مطولة المقصورة عن الذات العالمة التي جمعت بين العلم والشعر.

_ تميُّز الخطاب الشعري الحازمي باعتباره فضاء لعرض مقدرته الفنية.

_ كانت مطولة المقصورة الفضاء الذي أكد فيه القرطاجني الناقد تفرده كشاعر متخذا من بعض العلوم وسيلة لبناء صوره التخييلية .

_ كان في المقصورة ضرب من التعارض بين الآراء النقدية والنظم.

وختاما يبقى المنهاج والمقصورة أرضا خصبة تحتاج إلى مزيد من الحفر لاستكناه أسرارها.

- الهوامش:

[1] _ العلوي ابن طباطبا،عيار الشعر، تحق:عباس عبد الساتر، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، لبنان،ط2، 2005، ص:9.

[2] _ الجرجاني الشريف،كتاب التعريفات، المطبعة الخيرية، مصر،ط1، 1306 هـ، ص:56.

[3] _انظر:عباس إحسان:تاريخ النقد الأدبي عند العرب نقد الشعر من ق2 إلى ق8، دار الشروق، عمان،ط1، الإصدار2001،3،الإصدار4، ،2006،ص:581.

[4] _ القرطاجني أبو الحسن حازم، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تقديم وتحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت،ط3، 1986، ص: 27.

[5] _. المرجع نفسه ، ص: 28.

[6] _ عصفور جابر،مفهوم الشعر، دراسة في التراث النقدي، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة ، 1978، ص:167.

[7] _القرطاجني،المنهاج، ص: 71.

[8] _ التجاني محمد بنلحسن، التلقي لدى حازم القرطاجني من خلال منهاج البلغاء وسراج الأدباء عالم الكتب الحديث، الأردن،ط1، 2011، ص: 172.

[9] _ عباس إحسان، تاريخ النقد الأدبي ، ص:551.

[10] _زروقي عبد القادر، الشعرية العربية تفاعل أم تأثر، دار الروافد الثقافية ناشرون،لبنان،ط1، 2015،ص: 11.

[11] _انظر:القرطاجني، المنهاج، ص:69.

[12] _العاكوب علي، التفكير النقدي عند العرب، مدخل إلى نظرية الأدب العربي، دار الفكر المعاصر، لبنان دار الفكر، دمشق،ط1،1997، ص: 351.

[13] _عامر فتحي، من قضايا التراث العربي(دراسة نصية نقدية تحليلية مقارنة)، منشأة المعارف بالإسكندرية،د ط، د ت، ، ص: 339.

[14] _ المرجع نفسه ، ص:366.

[15] _ المرجع نفسه، ص:422.

[16] _عصفور جابر، مفهوم الشعر، ص:157.

[17] _ ابن فارس أبو الحسن أحمد بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ج 5، دار الفكر للطباعة والنشر،1979مادة (قصر)، ص:96.

[18] _ الزبيدي محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، ج8 ، تح: نواف الجراح دار الأبحاث ، تلمسان، ط1،الجزائر، 2011،مادة(قصر) ص:534.

[19] _ ينظر الغرناطي أبو القاسم محمد الشريف السبتي، رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة تحق: محمد الحجوي، المملكة المغربية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1991، ص:83.

[20] ابن دريد :الديوان،دراسة وتحقيق عمر بن سالم،ط1، 2012، ص:123.

[21] _ الغرناطي أبو القاسم محمد الشريف السبتي، رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة ص:98.

[22]_ مبارك محمد رضا، اللغة الشعرية في الخطاب النقدي، دار الشؤون الثقافية، بغداد،1993، ص:193.

[23]_ لمفون نائلة بنت القاسم بن أحمد، فن المقصورة في الشعر العربي حتى نهاية القرن 7هـ (دراسة تحليلية نقدية)، رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه في النقد والبلاغة ، قسم الدراسات العليا كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية ، 1998، ص 263 .

[24]_ القرطاجني أبو الحسن حازم، قصائد ومقطعات ، تقديم وتحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، الدار التونسية للنشر، تونس،1972، ص:11 . 12.

[25]_ محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس ج8 مادة (عرض) ص:196.

[26]_ طركي سلوم البجاري، المعارضات في الشعر الأندلسي، دار الكتب العلمية لبنان،ط1،2008، ص:48.

[27]_ القرطاجني، قصائد ومقطعات، ص49.من مقدمة المحقق.

[28]_ التطاوي عبد الله، حركة الشعر بين الفلسفة و التاريخ،دار الثقافة للنشر و التوزيع،1992،ص:12.

[29]_انظرنائلة بنت قاسم، فن المقصورات في الشعر العربي، ص 265 ، عن محمد الدناي : شرح الشريف السبتي لمقصورة حازم وتأصيل الأسس النقدية لفن المقصورات ص:468.

[30]_ الغرناطي أبو القاسم محمد الشريف السبتي، رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة ص:1597.

[31]_ القرطاجني، قصائد و مقطعات، ص: 26، 27، 28، 29.

*.الغفر، وهي ثلاث أنجم صغار ينزلها القمر وهي من الميزان/عرش السماك: أربع كواكب صغار أسفل العوّاء، ويقال أنها عجز الأسد/العوّاء: من منازل القمر يمدّ ويقصر، وهي خمسة أنجم يقال إنها وَرِكُ الأسد/الليث:يراد به الأسد وهو من المنازل/الجوزاء:نجم، سميت بذلك لأنها تعترض في جوز السماء أي في وسطها، وجوز كلّ شيء وسطه./الحمل: أول البروج/الحوت:أيضا برج في السماء، وهو كواكب كثيرة في مثل خلقة السمكة/الدلو: برج في السماء/أخبية: ثلاث أنجم وتحت واحد منها نجم رابع.

[32]_ الغرناطي،رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة، ص:568،562.

[33]_ المرجع نفسه،ص:1597.

[34]_ انظر:القرطاجني، المنهاج: ص:30.

[35]_ الغرناطي،رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة، ص:891.

[36]_ المرجع نفسه، ص:1597.

[37]_ القرطاجني،المنهاج، ص:31.

[38]_ مصلوح سعد، 2015،حازم القرطاجني ونظرية المحاكاة والتخييل في الشعر،عالم الكتب،القاهرة، ط2، 2015،ص: 42.

قائمة المصادر والمراجع:

الكتب:

- التجاني محمد بنلحسن، التلقي لدى حازم القرطاجني من خلال منهاج البلغاء وسراج الأدباء عالم الكتب الحديث، الأردن،ط1، 2011.
- التطاوي عبد الله، حركة الشعر بين الفلسفة و التاريخ، دار الثقافة للنشر و التوزيع،1992.
- الجرجاني الشريف،كتاب التعريفات، المطبعة الخيرية، مصر،ط1، 1306 ه
- زروقي عبد القادر، الشعرية العربية تفاعل أم تأثر، دار الروافد الثقافية ، ناشرون،لبنان، 2015.
- الزبيدي محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، ج8 ، تح:نواف الجراح دار الأبحاث، ، تلمسان، الجزائر، 2011.
- طركي سلوم البجاري،المعارضات في الشعر الأندلسي، دار الكتب العلمية، لبنان،2008.
- العاكوب علي، التفكير النقدي عند العرب، مدخل إلى نظرية الأدب العربي، دار الفكر المعاصر لبنان، دار الفكر، دمشق، 1997.
- عامر فتحي، من قضايا التراث العربي(دراسة نصية نقدية تحليلية مقارنة)، منشأة المعارف بالإسكندرية.
- عباس إحسان، تاريخ النقد الأدبي عند العرب نقد الشعر من ق2 إلى ق8، دار الشروق،عمان، الإصدار3، 2001، الإصدار4، ،2006.
- عصفور جابر، مفهوم الشعر، دراسة في التراث النقدي، دار الثقافة للطباعة والنشر،القاهرة، 1978.
- العلوي ابن طباطبا، عيار الشعر، تحق:عباس عبد الساتر،منشورات محمد علي بيضون،دار الكتب العلمية،لبنان، 2005.
- الغرناطي أبو القاسم محمد الشريف السبتي، رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة تحق: محمد الحجوي،المملكة المغربية،وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية،1991.
- ابن فارس أبو الحسن أحمد بن زكريا، معجم مقاييس اللغة،تحقيق عبد السلام محمد هارون،ج 5،دار الفكر للطباعة والنشر،1979.
- القرطاجني أبو الحسن حازم، قصائد ومقطعات، تقديم وتحقيق:محمد الحبيب ابن الخوجة،الدار التونسية للنشر تونس،1972.
- القرطاجني أبو الحسن حازم، منهاج البلغاء وسراج الأدباء،تقديم وتحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة،دار الغرب الإسلامي،بيروت،1986.
- مبارك محمد رضا، اللغة الشعرية في الخطاب النقدي، دار الشؤون الثقافية، بغداد،1993.

- مصلوح سعد : 2015،حازم القرطاجني ونظرية المحاكاة والتخييل في الشعر،عالم الكتب ط2، القاهرة،2015.

الأطروحات:

_لمفون نائلة بنت القاسم بن أحمد، فن المقصورة في الشعر العربي حتى نهاية القرن 7هـ، قسم الدراسات العليا كلية اللغة العربية،جامعة أم القرى،المملكة العربية السعودية،1998.